



صوم رمضان ونشأته - فكتور بيدار  
والمدنية الموريتية

## صوم رمضان ونشأته

جاء في القرآن ، في السورة الثانية (١٧٩-١٨٣) : « يا ايها الذين آمنوا ، كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . اياماً ممدودات ، فمن كان منكم مريضاً او على سفر فعدة من ايامٍ آخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون . شهر رمضان الذي اترل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً او على سفر فعدة من ايامٍ اخر . . . ؛ واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليصبر لي ولبوتوا لي بلهيم يرشدون . »

وورد في الحديث اقوال عديدة تؤيد الايات القرآنية وتزعم المسلمون بالصيام . فالبخاري ومسلم والترمذي يجمعون في القول ان في شهر رمضان تفتح ابواب الجنة وتلق ابواب الجحيم الخ . وفي هذا الشهر يذكر المسلمون الدعوة النبوية وغفران الخطايا وغير ذلك مما اتخذ السيد كوتين مادة للفتيش عن اصل رمضان ، في مجلة الاملام الالمانية ، (Der Islam : Zur Eutsebung des Ramadani. Von F. Goitein) في المجلد الثامن عشر ، ص ١٨٩ ، فرأينا ان نرب مقاله موجزاً للقراء بمناسبة ابتداء صوم رمضان في خلال شهر كانون الثاني ، قال :

اجمع المحدثون على القول ان صوم رمضان حل بين المسلمين محل صوم عاشورا . بين اليهود ، فما هي العلاقة بين رمضان وعاشورا . ؟ ان المسلمين اتخذوا الكعبة قبلة لصلاتهم ولم يحدثوا بذلك امراً جديداً ، والكعبة كانت قبلة لعبادة الرب في الجاهلية . فهل يكون صوم اليهود في عاشورا ، او يوم الغفران ، قد فتح السيل لادخال صوم رمضان بين المسلمين ؟ ان ما جاء في

الآية القرآنية (٧: ١٨٢) عن اجابة دعوة الله عباده اذا سألوا عنه ، ووقع تلك الآية حلقة في الكلام على الصيام ، اذى الى اصماج فكرة القرآن في فكرة الصيام ، فجلوا الصيام من اسباب منفرة الخطايا وذهبوا يشبهون رمضان بامشورا. ويستميضون عن هذا بذلك .

وقد يؤيد هذا القول ما يعرف عن الظروف التي اُست يوم النفران عند اليهود، والظروف التي اُست رمضان عند المسلمين. ان اليهود عيدوا يوم النفران ذكراً لاعطاء لرحي الوصايا ، وتزول موسى من جبل سينا ، واعلته آنذاك ان الله غفر لشبهه . وكثيراً ما اتى ذلك في التوراة وفي تعليم الربانيين حتى جعلوا يوم النفران ، وهو تذكار ظهور الله لموسى ، عقدة حلقة الحملات الدينية شأن غيره من اعيادهم . ووضع القرآن ايضاً اسباباً ليوم عاشوراء. اقامة موسى على الجبل ، وذكر خطيئة الشعب بعبادته العجل الذهبي ، وذكر النفران الذي ناله له موسى ، وظهور الله تعالى لقائد بني اسرائيل . ( ٢ : ٤٨ - ٥٢ ) « واذا واعدنا موسى اربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون . ثم غفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون واذا آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون . واذا قال موسى لهومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم بائخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم قتاب عليكم انه هو التواب الرحيم . واذا قلت يا موسى لن تؤمن لك حتى ترى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون . » ( راجع ايضاً ٢ : ٦٠ - ٦١ ؛ ٧ : ١٣٨ - ١٥٣ ) وكله بهذا المعنى دليل واضح على ان صوم المسلمين حل محل صوم اليهود .

وقد يذهب المحدثون الى ابعاد من ذلك ويحملون ايضاً خلاص اليهود من اعدائهم ، او انتصار موسى على فرعون ، سبباً لانشاء يوم عاشوراء . حدث ابن العباس عن النبي قال : اني احق بموسى منهم . وليس من شأننا التفتيش عن اصل الحديث لكن حسبنا ان يكون مصداقاً للقول ان الاسباب التي وردت في القرآن اساساً لتأسيس الصوم عند المسلمين ، هي التي كانت في اعتبار يهود القرن السابع اساساً ليوم النفران ، اخذاً عما عرفوه من اخبار موسى .

ولماذا يطول صيام المسلمين شهراً كاملاً؟ - ان العرب في الجاهلية كانوا يعتبرون الشهر القم الرمي الوحيد في الحياة الدينية والمدنية فلا عجب ان تكون تلك الوحدة في الزمان صارت مدة للصيام : « ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً ٠٠٠ منها اربعة حُرُم . » اما كون صوم عاشوراء . صادسياً لادخال صوم شهر كامل فذلك التطور لم يحدث فجأة . وقد تنوّه بذلك الآية « اياماً ممدودات » وان امرها لمقتضى على الشراح . على ان فصل عشرة ايام من شهر الصوم للاعتكاف قد يضع عطة للتطور بين صوم يوم الغفران وصوم الشهر . ولم يكن الاعتكاف جديداً في الاسلام ، فان الجاهليين كانوا « يعكفون على اصنام لهم » (٧: ١٣٧) لكن الاسلام خصه ببعض التحريمات . اما مدته فهي عشرة ايام ، فيها تقع ليلة القدر . ولم يبينوا هل تكون تلك العشرة في الثلث الاول من رمضان ام الثاني ام الثالث . على ان ممارسة عشرة ايام في الصوم « اعتكافاً » ، لا تزال شائعة في المبادئ الاسلامية وبها فسروا « الايام الممدودة » الآتي ذكرها في القرآن وهذا وقد حدد محمد في غير موضع عدد عشرة ايام صيام « لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام » « تلك عشرة كاملات » (٢: ١٩٢) واعلم ان عدد عشرة ايام للصيام عريق القدم في استعمال الآراميين وهي التي تسبق يوم الغفران عند اليهود ، وهذا اليوم سماه الملدون عاشوراء . او المباشر من الصوم . وأن ما قلناه عن « الايام الممدودات » وعن استعاضة شهر رمضان لمن كان مريضاً او على سفر بعدة من ايام اخر ليدركنا بالتقاعدة المألوفة عند اليهود ، اي انه من الممكن تحويل الصوم من يوم الى غيره . واخيراً اذا قابلت بين آية الغفران الواردة في الكلام على الصوم القرآني ، والآيات التي جاءت في التوراة بالمعنى ذاته ، كنت على بصيرة من الاسباب الداعية الى قولنا ان رمضان حل محل عاشوراء .

« واذا مالك عبادي غني فاني قريب ،  
 ابيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي  
 واليتذموا لي اللهم يرشدون » (القرآن ٢: ١٨٢) | والتمسوا الرب ما دام يوجد . ادبره ما  
 دام قريباً » (اشيا ٥٥: ٦) | وغيرها من الصلوات التي تتلى ايام الصيام .

## فكتور بيرار والمدنية الموميرية

في الرابع عشر من تشرين الثاني الفات مات ، في فرقة ، عالم كبير ، واديب مشهور ، ووجه معروف في بلاده وهو فكتور بيرار عضو مجلس الشيوخ ، واحد اعلام اوثك « الادبا » الفرنسيين الذين عملوا على ازدهار الدروس اليونانية واللاتينية ، وبالتالي على تعزيز الثقافة التامة الكاملة ، ما لم يسله شعب من الشعوب .

وُلد فكتور بيرار في ١٠ آب ١٨٦٤ ، ودخل مدرسة المعلمين العليا في باريس سنة ١٨٨٤ ثم اصبح عضواً في مدرسة ائمة الفرنسية فاجتهد به امياله الى درس المدينة اليونانية اجمالاً ، وما تعلق بالمسألة الموميرية خاصة حتى اصحى اشهر وادقّ واوثق من تكلم عنها . ولا تزال مؤلفاته عن هوميروس وَاكثاره ، ومما صر به من التثقيتين مورد كل باحث في هذه الموضوعات المهمة . واليه يرجع الفضل الاسمى لا بترييف رأي وُلّف ( Wolf ) المنكر هوميروس فحج ، بل بانكار نبة هذا الرأي الى وُلّف . فبين بيرار في كتاب نشره سنة ١٩١٧ عنوانه « أكذوبة من قبل العلم الالاني » ( *Un mensonge de la Science allemande* ) ان وُلّف سرق رأيه ذاك من الاديب الفرنسي دوبينيك ( d'Aubignac ) في التأليف الذي ظهر بعد وفاته ، سنة ١٧١٥ ، بعنوان « آراء اكااديمية عن الايلاذة » - ( *Conjectures académiques sur l'Iliade* ) هذا وقد اطلنا في جريدة الفيجارو ( *Le Figaro* ) على بحث قيم في العالم التقيد للكاتب هوبر موران ( Morand ) قرأنا اطلاق قرائنا على ام ما جاء فيه :

لا بدع ان قلنا ان يموت فيكتور بيرار خسرتنا ركتاً من اركان العلم ، ورجلاً من رجال الادب ، ما انفك منذ نصف قرن يبرز للعالم مولدات العقل اليوناني ، وقد البها حلة جميلة ، وذلك بفضل اطلاعه الواسع ، والذي ينم عن عقل فيه صائب ، ونفس على العلم غيرة ، وشخصية فردة بنوعها بارزة . وليس يناله من سمع يلقي محاضراته القيمة عن اثار هوميروس الاودية ، مبتناً خطأ الذين يزعمون ان المؤلفات المنسوبة لهوميروس ليست بالحقيقة سوى مولدات شعب كامل وغار قرائح عديدة جهها الثقلة والمنشدون ، وان هوميروس ليس سوى اسم مستعار لغير مستى حقيقي . وقد ركز نظريته على يرايين استمدّها من اكتشافات له حديثة واستنتج صحة تلك النظرية من الوجهتين التاريخية والجغرافية .

فبين ان الايلاذة والادوبية لم تكونا معروفتين حتى اواخر القرن الفات الا من مخطوطات بيزنطية كتبت مائة سنة بعد عصر شرلمان . ودامت هذه

الحال حتى سنة ١٨٩٠، وقت اكتشف في اجدى قرى الصيد مخطوطة يرجع  
عهدا الى القرن الخامس قبل المسيح ، عليها مقاطع من تأليف هوميروس. ومن  
القريب ان تلك الشذرات تطابق مطابقة تامة نص المخطوطات البيزنطية المعروفة .  
فيتضح من هذا الوجه ان التأليف الهومييرية كانت ، ولم تزل ، هي هي منذ  
ثلاثة عشر قرناً قبل البيزنطيين . ويظهر من وجه اخر ان ما اتى هوميروس على  
وصفه من اثاث البيوت وزينتها ليس خيالاً بل حقيقة واقعية ، دلت على صحتها  
الاكتشافات الحديثة . فقد وجد اناه هيلانة الذهبي ، وخنجر مينلاوس ، وغيرها  
من الآثار ؛ وتقرّر بمد الابحاث الدقيقة انها التي وصفها هوميروس بعينها . فلا  
يمكن اذاً بمد هذا نكران المدنية الهومييرية ، بل يجدر بنا ان نقدر حق رجل  
توصل من ٨٥٠ سنة قبل المسيح ، الى ايجاد فن يتطلب موهبة عظيمة وعبقرية  
سامية مما تمجّر عنه او تكاد القرائح المصرية .

وقبل ان ينتقل بيرار الى الوجهة الجغرافية ، ابان ان هوميروس كان  
يستعمل احرف الكتابة لانه ليس محتملاً ان رجلاً مثل هوميروس سليل امة  
نبت دون جموع الانسانية طراً ، كان يجمل الكتابة وقد عرفت طريقتها من  
قبل عهده ، اذ وجدت ، في حفريات جبيل ، كتابة ترجع الى السنة ١٢٥٠ ق.ب .  
فبمد ان اثبت فيكتور بيرار صحة وجود هوميروس ونسبة تأليفه ومعرفة  
الكتابة ؛ هل نقدر ان نشك في صحة ما حكاه عن البلاد والشعوب ؟ كلا ،  
في عرف فيكتور بيرار لان من تتبع الشاعر اليوناني في كل تنقلاته ، كما فعل  
هو ، لا يسه الا التيقن من صحة ما وصفه هوميروس من الوجهة الجغرافية .  
وهكذا تبهر فيكتور بيرار في تأليف الشاعر اليوناني فتضلع منها وتمكن  
من ادق حذاقها . وقد دفته غيرته الى وضع الاوديسة بالافرنسية ، فبرزها  
بنثر بديع المبني يكاد يكون شعراً ، على تحفظه الشديد في اداء الاصل .  
وذلك مما يندر وجوده في نقل تأليف كهذه .

كل هذا يدفنا الى الاعجاب برجل وقف حياته على العلم مجاهداً ، فقد  
دافع عن شاعر قديم تفرّد بعبقرته ، وهام من اجله باليونانيين وآدابهم هياماً  
يديم ذكراه ، ويده منهم خلوداً للزمن قاهراً .

## نكبة لبنان

منذ اليوم العشرين من الشهر الفائت، وابصار اللبنانيين قاطبة شاخصة نحو بكركي ، متر شينهم الجليل وقد ألم به مرض مقلق ؛ وقلوبهم متجهة نحو الملا. تسأل الغاية الالهية ان ترفق بالشعب فتحفظ له ركنه في هذه الايام العصية. وكانت الساعات تتوالى والنفوس تتدافع بين الامل والوجل ، حتى كانت الساعة الثانية من صباح الخميس في الرابع والعشرين من كانون الاول ١٩٣١ ، فتسارع على قمم لبنان خبر المصيبة الوطنية ، ومشى في نسيم لبنان نبأ الفاجعة القومية ، ورددت اودية لبنان صدى الرزية الشاملة ، وتمايل ارز لبنان شاعراً بلوعة ابنائه بفقدهم وعميدهم وركنهم العظيم ، المثلث الرحمت

### البطيرك الياس بطرس الحويك

قضى شبان من الايام بمد ان ملامها ولبنان ، بل والشرق الاذني اجمع ، مجلائل الاعمال وعظائم المنشآت ، بمد ان تجتم المشقات في تكوين هذا الوطن الحديث فجمع حول شخصيته البارزة الملل المختلفة، والنحل المتباينة ؛ فكان الرعم الكبير والمرجع الوحيد ، لم يهدأ له بال ولم ينم له طرف حتى رحد بين جميع العناصر ووضع الحجر الاخير، كما انه كان واضع الحجر الاول، في صرح الوطنية الحققة. فلا عجب ان اءتير مائة مائتاً وطنياً ، فانتقلت السلطان اللبنانية والمتدبة برجالها الرسميين مع ممثلي الدول كلهم ، الى بكركي للاشتراك بآئمه العظيم الذي كان اشبه بظفر منه بمجنازة . وتألبت عشرات الالوف بالقلوب الحاشمة والابصار الشاخصة لوداع الراحل الكبير وكلهم يتسنى ان يشبع الطرف من مرأى القديس المسجى على سريريه الاخير، فيمكنه ان يقول في المستقبل: رأيت البطيرك العظيم ا لنا الآن في موقف الرثا. والتأين ، بل اننا تكفي بذكر الفاجعة على ان نمرود في المدد القادم ، والمجال افسح ، فنصف ما امتاز به شيخ لبنان من الصفات البقرية ، وما قام به من الاعمال العظيمة .